ضوء على القتل

هوية الكتاب

اسم الكتاب: ضوء على القـــتل

الناشر: مؤسسة تراث الشهيد الحكيم قدس سره

المطبعة: الثانية

الطبعة الأولى: 3000 نسخة

حقوق الطبع محفوظة لمؤسسة تراث الشهيد الحكيم قدس سره

النجف الأشرف

صيف سنة 2005 م

ضوء على القتل

بسم الله الرحمن الرحيم

- نحن مسئولون أمام الله في أن ندافع عن حقوق الآخرين، فقد دافعنا عن حقوق الأكراد وأكثريتهم الساحقة من أهل السنة... دافعنا عنهم لأنهم ظلموا، والإمام الحكيم في هذا الصحن ومن هذا الموقع ألقى خطاباً يدافع فيه عن الأكراد، وفي صحن الحسين عليه السلام عقد مؤتمراً دافع فيه عن الأكراد وهم من أهل السنة، لأنهم تعرضوا إلى الظلم.

- أن الكثير من العناصر ـ أزلام النظام السابق ـ لا زالت موجودة في مواقع حساسة في الدولة ... فلابد أن يتم التعامل بحزم مع هذه العناصر، لأن هذا هو في الحقيقة يمثل الجهة التي تقف

وراء هذه التفجيرات ووراء كل العمليات التخريبية التي شهدها العراق.

- علينا جميعاً أن تتكاتف أيدينا لنبني عراقاً واحداً نشترك فيه جميعاً, وتتحقق فيه حقوق الجميع ولا يكون عراقاً دكتاتورياً أو طائفياً أو عنصرياً.
- نحن لا نؤمن بالنظام الطائفي ونعتقد بأن الوزارات يجب أن تُمَثِل كل أطيافنا, ونأخذ في هذه المرحلة على أقل تقدير المصالح العامة للشعب العراقي والقضايا العامة.
- حركة الإمام الحسين عليه السلام تمثل حالة تغييرية تجاه الصلاح وباتجاه إحقاق الحق.

المقدمة

بين نظريتين, إحداهما اكتنفت واقعاً سلفياً قبلياً راديكالي, يلتقط أنفاسه بأريحية عالية وهو يجالس الدماء, وينتشي فرحاً بملاعبة الأشلاء, ويزداد فخراً بانتشار الدمار..

الغريب في هذا, إن صيحاتهُ تكبير لله, وموائدهُ مع رسول الله ﷺ, وبغض النظر عن خلفياته اليهودية وكابوناته(الدفترية), ننتقل بطرفنا لآخر أختصر الدنيا بزهرة, ولم تعجبهُ رؤية الدماء, وجعل أُسس قانونه منح الحياة(... ليزيد, والحجاج, وهتلر, وموسوليني, وشارون, وصدام..) كُل ذلك تحت إطار الحضارة الجديدة ومع حقوق الإنسان, لكنه نسيَ أن لتلك الزهرة الجميلة

أشواكاً ونسيَ أيضاً أنها قد تكون سامة, بل ومدمرة للنظام البيئي, فبدلاً من أن يقلعها لكي توازن النظام البيئي لتدوم الحياة للآخرين, أخذ يسقيها لتنمو أكثر.

من هنا آلت الحاجة لنظام يتفهم الحياة بأدق صورها ويعالج الأمور بأسوأ لحظاتها. محاضرات آية الله العظمى السيد المفكر محمد باقر الحكيم شهيد الإنسانية أعطت البعد الحقيقي لخطورة هذهِ المسألة ووضعت كل شيء في محله وأثبتت أن الفكر الإسلامي الأصيل هو الحل الأمثل لعالم ضاع عليه الحابل بالنابل.

من هنا كان من اللازم أن تُنار العتمة وتعبد السُبل أمام ذلك الشاب المتخبط ولتزداد معه يقينية المشكك, وما نضعهُ بين يدي القارئ العزيز ليس هو إلا خطوة تجاه: طريق, ورحلة, ومشروع, ليأخذ مشربهُ من هذا النبع الصافي.

فهنا رحلة القرآن والتاريخ فللتأريخ حقه وعِبرته وحجيّته, كما ولجدلية التشكيك واليقين محلها للارتقاء بسلم العلم الواقعي والتكليف الموضعي تجاه أي حالة من حالات الحوادث الإنسانية, ولفلسفة الواقع الحي لهكذا مسألة حيوية ترتبط بسير هرمي يبدأ بالفرد والمجتمع وصولاً إلى الحضارة. نعم إنها رحلة الكمال.

هذا وقد أوكلت دائرة الثقافة في مؤسسة تراث الشهيد الحكيم قدس سره الأخ الفاضل نصير سامي الحسناوي مشكوراً, بتقويم وإخراج وتحقيق المحاضرات.

مؤسسة

تراث الشهيد الحكيم قدس سره

بين الفرض والجريرة

(**وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً**) [1] يمكن أن نعرف أهمية النظرية الإسلامية تجاه قتل النفس ـ التي حرم الله ـ من خلال المقارنة بين صفات:(القتل, الشرك, الزنا) وذلك على غرار هذه الآية الشريفة, فهي تجعل تلك الصفات على حدٍ وفي مستوىً واحد.. فجمعت الآية الكريمة هذه الصفات بعنوان؛ إن عباد الرحمن يبتعدون عن هذه الصفات ولا يتصفون بها.

أما القتل وما يحملهُ من معاني ذميمة سيتخذ منحاً آخر في المركب القرآني, ومن اجل أن نتبين الفهم العام له, ولهذه العملية أو هذا العمل, سنجد أن القتل بما هو قتل ليس بعمل مشين ولا

---

1) الفرقان:68

جريمة ولا جريرة.[1] الأمر الذي يعبر عن القتل بأنهُ عملٌ لا يحكم بمذموميتهِ بل بلحاظ خلفياته ودوافعه, أي بلحاظ تلك الصفات الذميمة التي يتصف بها الإنسان, والتي يصبح القتل فيها مجسدا ومعبرا لها, فالحسد, قد يكون ـ أحيانا ـ أحد الدوافع المهمة للقتل ولعله هو أول الدوافع التي عرفتها البشرية؟ للقتل, كما أن للطغيان وحب التسلط والهيمنة دافعاً مهماً وكبيراً لحصول القتل وتحققه.

بيد أنه قد يُعبر عن القتل بأنه صفة حميدة, طبعاً هذا مع لحاظ دوافعه وصحتها, وهنا يشير القرآن الكريم في هذه الآية وفي آيات أخرى[2] إلى هذه النكتة إذ يقول: (**وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ**) فيفترض أن يكون القتل منصباً على نفس قد حرمها الله, وإلا فلا يكون مشمولا لهذا النوع

---

1) (**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**) البقرة:179وقوله تعالى:(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ**)البقرة:178

2) لاحظ المصدر السابق من الآيات الشريفة.

من الاستنكار, كما وليست هناك ضرورة للتجنب منه, الأمر الذي يصنف عملية القتل إلى صنفين: قتل بالحق, وقتل بغير حق أي القتل الذي يعبر عن الظلم والانحراف في سلوك الإنسان وتصرفه.

في الحقيقة أن القتل بشكل مطلق ليس ـ دائماً ـ أمراً مستنكراً في الإسلام, بل قد يكون فرضاً, فأحيانا نجد الإسلام يدعو إلى عملية القتل والقتال ويمجد أولئك الذين يَقتلون أو يُقتلون, ويبشرهم بالجنان وبالمراتب العالية.[1]

---

1) وذلك من خلال ضرورة التأكيد على حرمة قتل(النفس التي حرم الله), وعليه سيتضح لنا الأسلوب العملي والوجيه لمكافحة هكذا جرائم خطيرة فليست هناك ازدواجية أو طوبائية في التشريع الإسلامي, فهكذا جرائم تشخص في المعيار الفطري الإنساني بأنها خطيرة جداً, وبتركها أو التهاون معها سيخلق انحرافاً يصعب علاجه, ناهيك عن ما سيأتي لاحقاً من أضرار بتكوين المجتمع بل وبكل السلالة التتابعية فيه, وعليه سنجد أن البحث المستقبلي سيصبح ممهداً في إطارين: أحدهما يُعنى بضرورة حصانة الفرد والنفس الإنسانية واعتبار الإضرار بها من أبشع الجرائم فهي ـ أي جريمة القتل ـ بغرار الشرك بالله وبغرار الزنا, أما الإطار الثاني هي تبيان الحدود الحمراء لمنتهكي تلك الحصانة وضرورة علاجها بالمثل واعتبار هذا العلاج هو جزء أساس لإعادة حزام الأمان لهذه الحصانة وبالتالي حصانة المجتمع عامة.

القتــل فــي التأريــخ

جريمة كبرى

لو أردنا أن نرجع إلى القتل من الناحية التاريخية سنجد أن الإنسان في أول وجودهِ على وجه الأرض واجه هذه الجريمة ـ عملية القتل ـ!

والقتل الذي يكون جريمة: ما كان بدوافع غير صحيحة(ذميمة, وخسيسة), كالحسد مثلا أو الطغيان أوالظلم.

وهذا النوع من القتل حدث تقريبا مع أول وجود للإنسان على هذه الأرض, وعليه يمكن أن نعرف الأهمية التي يعطيها القرآن الكريم لهذه الجريمة ولهذا العمل, لا باعتبار أنه عمل استثنائي أو قضية استثنائية تعيش في هامش وجود الإنسان أو حياته, وإنما هي قضية وجدت مع وجوده؛ وبالتالي فهي قضية مركزية تعيش مع حياة ووجود الإنسان.

فمع قراءة الفهم العام للقتل الذي تحدثُنا فيه الآيات الشريفة لقصة ابْنَيْ آدمعليه السلام نجد ان محور القتل كان بدافع الحسد(**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**)[1] إذ مع عدم القبول من أحدهما قد أرسى بقابيل أن يُفكر بقتل أخيه.

فيُذكر ان القاتل قابيل والمقتول هابيل, بمعنى إن الصالح منهما هابيل والطالح الذي لم يتقبل منه قابيل, كما ورد في الروايات[2]

---

1) المائدة:27

2) - الكافي: للشيخ الكليني ج 8 ص 113: إن آدم عليه السلام أمر هابيل وقابيل أن يقربا قربانا وكان هابيل صاحب غنم وكان قابيل صاحب زرع فقرب هابيل كبشا من أفاضل غنمه وقرب قابيل من زرعه ما لم ينق فتقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربان قابيل وهو قول الله عز وجل:((**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**) المائدة:27 وكان القربان تأكله النار فعمد قابيل إلى النار فبنى لها بيتا وهو أول من بنى بيوت النار فقال: لأعبدَّن هذه النار حتى تتقبل مني قرباني، ثم إن إبليس لعنه الله أتاه - وهو يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق – فقال له: يا قابيل قد تقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربانك وإنك إن تركته يكون له عقب

فهابيل الإنسان الصالح, يقول: إن قضية القبول وعدم القبول ليس بأمر اختياري لي: أنا لم أعتدِ ولم يصدر مني ظلم لك, فلو كان عدم قبول القربان بسببـي, أو باختياري, أو بفعل مني؛ لكنت معتدياً, فيكون قتلي في الواقع رداً للعدوان, لكنه لم يكن بسببـي, فالله يتقبل

يفتخرون على عقبك ويقولون نحن أبناء الذي تقبل قربانه فاقتله كيلا يكون له عقب يفتخرون على عقبك فقتله..

وهكذا وردت الكثير من الروايات المستفيضة حول قتل قابيل لهابيل وهنا نورد مجموعة لتلك المصادر التي أوردت هذا الخبر: كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق: ص 213،- شرح أصول الكافي ج11 - مولي محمد صالح المازندراني ص 354، - شرح أصول الكافي ج12 - مولي محمد صالح المازندراني ص 52، ص 57، - مستدرك الوسائل ج17 - الميرزا النوري ص 82، - الهداية الكبرى - الحسين بن حمدان الخصيبي ص 382، - سعد السعود - السيد ابن طاووس الحسني ص 37، - الصراط المستقيم ج2 - علي بن يونس العاملي ص 43، - مدينة المعاجز ج7 - السيد هاشم البحراني ص 664، - مدينة المعاجز ج8 - السيد هاشم البحراني ص 134، - بحار الأنوار ج6 ص 291، ج11 ص 43، ج108 ص 141... - مستدرك سفينة البحار ج8 - الشيخ علي النمازي ص 496، ... الخ من المصادر الإسلامية والتي تناهز الـ 88 مورداً حسب إحصائيات المعجم الفقهي الإصدار الثالث 1421هـ.

من المتقين, وأنا كنت إنسانا متقياً وأنت لم تكن متقياً(**قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**)[1].

المفسرون والغرض المبيت

وللمفسرين حديث آخر في هذه الآيات الكريمة, فبعضهم يفسر هذه الآية بفرض, أن موقف هابيل كان موقف الاستسلام للعدوان الذي أراد أن يمارسه قابيل تجاهه عندما هدده بالقتل وكأن هابيل ـ حسب تفسير بعض المفسرين لهذه الآية ـ استسلم للظلم وقال:(أنا اقف بين يديك مكتوف اليدين, لا ابسط يدي, لا أحرك يدي, فكأنه سلم نفسه للقتل, من أجل أن يحظى بالثواب والأجر.

هؤلاء المفسرون القاصرون وبعض أولئك الذين كانوا يؤولون القرآن لأغراضهم السياسية الخاصة[1], لمحاولة إقعاد الناس وتثبيطهم في الوقوف إلى جانب الحق.

---

1) المائدة: 27 - 28

فهذه التفسيرات التي تـنصّ على التسليم للظالم وللقتل وللعدوان ـ الذي جسده هابيل في موقفه عندما سلم نفسه لقابيل حال تهديده بالقتل, وقال أنا أقف بين يديك مكتوف اليدين لا ابسط يدي في الدفاع عن نفسي, ولا في اتخاذ أي موقف ـ إنما هي تريد خلق واقع زائف في تأريخ البشرية, وذلك من خلال هذا الموقف المكبل.

طبيعي أن هذا التفسير غير تام, والصحيح: هو أن هابيل قال لقابيل:(أنا لا أُبادر إلى قتلك, أنا لا ابسط يدي لقتلك) لا أنه كان مُسلِّمَاً له, بل كان بحالة دفاع عن نفسه وتوجد بعض الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام تشير إلى: أن قابيل اخذ يتحين الفرص بهابيل مدة طويلة من الزمن حتى تمكن من قتله في غفلة, وقتله غيلةً[2], الأمر الذي يدلل على ان هابيل لم يكن مستسلما بهذا

---

1) خصوصاً في العصر الأموي الأول ـ المؤلف ـ

2) عن أبي جعفر الباقر عليه السلام وهو محمد بن على بن الحسين أنه قتله بحديدة في يده وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة بن عبد الله وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فطوعت له نفسه قتل أخيه فطلبه لقتله فراغ الغلام منه في رءوس الجبال فأتاه يوما من الأيام وهو يرعى غنما له وهو

المعنى من الاستسلام, ولكنه لم يكن مبادراً للظلم والقيام بعملية القتل(**لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ**)[1] فهذا التفسير

نائم فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات. من الملاحظ أن قابيل مر بمرحلة صراع مع النفس حتى أنه كان مرتبك في أجراء جريمته وذلك لأنه قد تفاجأ في سنوح هذه الفرصة وهي أن هابيل كان نائماً.

وهنا نجد العلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان في تفسير القران يورد هذا الرأي والأشكال بنوع من التسفيه على نظرية التسليم والانقياد للمجرم بقوله: وظاهرها أن قابيل إنما قتل هابيل غيلة من غير أن يمكنه من نفسه، كما هو المناسب للاعتبار، وقد تقدم في البيان المتقدم . واعلم: إن الذي ضبطته الروايات من اسم الابنين: هابيل وقابيل، والذي في التوراة الدائرة: هابيل وقابيل . ولا حجة في ذلك لانتهاء سند التوراة إلى واحد مجهول الحال مع ما هي عليه من التحريف الظاهر .. ـ حتى يصل إلى قوله:(لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ...). وجه الاندفاع أنه، لم يقل: إني لا أدافع عن نفسي وأدعك وما تريد منى وإنما قال: لست أريد قتلك، ولم يُذكر في الآية أنه قتل ولم يدافع عن نفسه على علم منه بالأمر فلعله قتله غيلة أو قتله وهو يدافع أو يحترز.

1) المائدة:28 من خلال حوارية القرآن, نجد أن جواب هابيل لم يكن ذلك الشخص الضعيف(غايته أنه مهذب ذو طابع روحاني عالي) إذ ليس كما يصور

منسجم تماماً مع ما ورد في بعض الروايات من أن القَاتِل يذهب بذنبه وذنب المقَتُوْل[1], أي(ما ترك القاتل على المقتول من ذنب) كما وورد في بعض النصوص[2].

البعض أنه ضعيف, فهو يصور قابيل بأنه ظالم وآخرى بأنه من أصحاب النار... وكأن الأفق قد حوى من الكر والفر(المفهومي والخارجي)..

1) بل ولهذا التفسير انسجام تام مع هذا الكم الهائل من الإرث الإسلامي في كون الإقرار بالتحصن من الجريمة والمجرم ضرورة لابد منها ناهيك عن حكم العقلاء بذلك.

2) أدعى ابن كثير في كتابه - تفسير ابن كثير - ج 2 ص 46 : أن هذا الحديث لا أصل له((ما ترك القاتل على المقتول من ذنب)) بيد أنه قد روى الحافظ أبو بكر البزار حديث يشبه هذا المضمون فقال: حدثنا عمرو بن علي حدثنا عامر بن إبراهيم الأصبهاني حدثنا يعقوب بن عبد الله حدثنا عتبة بن سعيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ:((قتل الصبر لا يمر بذنب إلا محاه)) وهكذا ورد الاتفاق على بعض الأحاديث كـ:(المقتول يطالب القاتل في العرصات فيؤخذ له من حسناته بقدر مظلمته..) إذ أن هناك من الروايات الصحاح على هذا المضمون, ومع كل هذا لا نجد من يختلف مع المصنف رضي الله عنه في هذا المضمون بإجماع عام.

وعليه يمكن أن يستقيم معنى الآية الشريفة ـ حسب الظاهر ـ من قوله تعالى: (**إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ**) [1] على ضرورة أن يتحمل القاتل أثمه كقاتل وأثم المقتول[2], فإذا كان لهابيل عليه السلام ذنب يُسَاق به لان يكون من أصحاب النار لصار هذا الإثم من نصيب قابيل(**فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ**) [3].

هذا وقد أكد جمهور المفسرين على أن الآية تتحدث عن قضية وقعت لأبني آدم... (هابيل وقابيل). كما وفي بعض الروايات ولدى

---

1) المائدة:28

2) وذلك لأنه ضيع عليه فرصة التوبة من ذنوبه فيما إذا استمر بالحياة, فباب التوبة كما هو معلوم مفتوح حتى اللحظات الأخيرة من حياة الإنسان, أما حيثية هذه الفرصة جاءت من أصالة كون الإنسان صالح السريرة مُحب للخير وما يكتنفهُ من ذنوب ليس هو إلا عارض قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه) وهذا الحديث فيه من الأخبار المتواترة, كما ورد عن أبي الحسن عليه السلام، في قول الله تعالى:(فتحرير رقبة مؤمنة) كيف تعرف المؤمنة؟ قال:(على الفطرة) تفسير العياشي ج1: ص263/ 220.

3) المائدة:31/29

بعض المفسرين اتجاه آخر, يفترض بأن هذه القضية لم تقع لأبني آدم, وإنما وقعت في تاريخ متأخر من العصر البشري, على أي حال الشيء الذي يفهم بشكل واضح من هذه الآيات الكريمة إن هذه الحادثة سواء وقعت لأبني آدم, كما يقول جمهور المفسرين أم وقعت لغيرهما, لابد من أنها ـ حادثة القتل ـ وقعت في العصر الأول للإنسان, أو لمقطع متقدم من تاريخ الإنسانية باعتبار ان الإنسان كما يفهم من هذه الآية: لم يكن يعرف كيفية الدفن, مما يعني إنها وقعت في ذاك العصر ـ العصر البدائي ـ الذي كان يعيش فيه الإنسان على البديهة, فلم تكن لديه أي تجارب, حتى على هذا المستوى, بحيث يتعلم من الغراب كيف يدفن أخاه[1] وهذا معناه:

---

1) لابد من أن نستكشف من هذا المضمار؛ إن ثمة أخلاقيات تُلزم الإنسان, في الالتزام بعدم هتك حرمة المقتول, وإن كان قتله جاء عن حق, أما ما يحصل في العراق, من بشاعة التخريب وحال الجرائم التي يندى لها الجبين أمثال: الاختطاف وقطع الرؤوس وتفجير مقدرات وثروات العراق, وقتل الناس بالجملة؛ ليس هو إلا تعبير عن وصول هؤلاء المجرمين لقاع الانحطاط وقمة السقم الروحي والنفسي, فهؤلاء عجزوا عن حمل أخلاقية غراب, وارى نوعه التراب لكي لا يُفسد على الطبيعة منظرها.

قضية القتل في الواقع عاصرها الإنسان منذ ذلك العهد, ومنذ بداية وجوده على وجه الأرض.

وإذا قلنا بما قاله جمهور المفسرين, ففي أول وجوده على وجه الأرض نجده؛ قد عاصر قضية القتل, مع الإيمان بضرورة مكافحة هذه الجريمة واجتثاثها.

القتل أسباب ودوافع

ثمّة نزوات موجودة في أعماق الإنسان وبانفلاتها وترك السيطرة عليها وتجاهل كبح جماحها توقع هذا المخلوق في مثل هذا المنحدر والمُنـزلق, إذ في مثل هذه الجريمة وهذه التوجهات يمكن أن تُحصر بخلفيتين أو بدافعين:

أولاً: خلفية الحسد[1] والتي هي في الواقع من الصفات التي تعتري الإنسان في وجدانه وضميره.

---

1) والتي مرت علينا في البحث السابق, القتل في التأريخ (جريمة كبرى).

ثانياً: خلفية حبّ الهيمنة والتسلّط على الآخرين..

ولهذه النـزوة أو تلك عواقب تُرسل بالإنسان إلى مراحل خطيرة نهايتها القتل..

وكلتا الصفتين في الواقع من الصفات التي تعيش مع الإنسان منذ بداية وجوده, وعليه مواجهتها والسيطرة عليها.[1]

---

1) لم تكن صفة القتل بسبب الحسد إلا تعبيراً عن خلجات سقيمة, وحاجة الثأر بالنفس كما يعبر علماء النفس عن ذلك إذ إنها منتهى كل تلك الخلجات المريضة, أما النوع الآخر, ألا وهو حب التسلط والهيمنة ليس هو إلا تعبيراً عن صنمية النفس؛ وذلك من خلال جدليتها للحفاظ على السلطة والتسلط على الآخرين, طبيعي أنها توجهات تُسيِرها أسقام وأهواء نفسية ـ وبعبارة علمية يحركها العقل الباطن ـ لوجود حقارة أو دونية تجاه الآخرين, وخير مثال في عصرنا الحاضر: طاغية العراق البائد؛ صدام وزبانيته من حزب البعث الفاشي إذ نجد في حركتهم الإجرامية قاع الانحطاط وقمة الإجرام والتفنن في قتل الأبرياء وكل من يعارض أو يحاول أن يمس كيانهم ولو اقتضى ذلك محاربة كل المبادئ والقيم التي تنمي في الإنسان رفض الدكتاتورية, وبالفعل أنهم قاموا بمحاربة كل حالة تدين سواء على صعيد الدين الإسلامي أم بقية الديانات, بل ووصل الأمر لبرنامج منظم ومدروس لهدم الشخصية العراقية وكسر القيم والنبل التي ورثها من سلسة حضارية رائعة التتابع وبإشراف الهي؛ من خلال سلسلة الرسالات الالهية التي

القتل وموازينه

عندما يقّيم القران الكريم هذه الجريمة ـ قتل بغير حق ـ, قد جعلها في أعلى المستويات وأعظمها, هناك آيات كثيرة تدل على هذا المعنى وهذا المضمون, فقد يُفهم من المقارنة بين القتل والشرك بالله ﷻ والزنا, القيمة الحقيقية لحرمة القتل.

وذلك بعد فرض الجزاء الحقيقي للإنسان, أي بعد أن يعمد إلى القتل عن قصد وعن اختيار (القتل المتعمد)[1] فجزاء العمدية جهنم والخلد فيها, الأمر الذي يدللّ على قيمة جريمة القتل ويجعلها ذات أهمية خاصة:(**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ**

طالما نمت وانتشرت في مهد العراق... أما الغريب في كل ذلك هو عدم إقرار رأس النظام البائد على خطأ سيرته العفنة, وهذا ما يؤكد على تشبعه بكل الرذائل ومسخ إنسانيته حتى وصل الأمر به لانقلاب في مفاهيمه ومدركاته العقلية.

1) وما يعبر عنه في علم القانون القتل عن سبق إصرار وترصد .

أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً)[1] فجريمة القتل الواحدة تعني قتل الناس أجمعين, والعكس بالعكس أي أن قضية إحياء شخص كإحياء الناس جميعاً من أولهم إلى أخرهم. [2]

الحل الأمثل(شبهة)

أما إشكالية إن الأحياء لله فهو الذي يحي الأنفس وهو الذي يميتها, [3] فيمكن حلها ببساطة, حيث توجد هناك ضمن الروايات تفسيراً للإحياء[1] ومما ذكر سابقاً.

---

1) المائدة:32

2) سوف نتحدث عن معنى الأحياء وفَهم القران الكريم وذلك على ضوء النصوص والروايات ـ المؤلف ـ

3) هذا بالمعنى الحقيقي, ولا يعني ألبته بالمعنى المجازي أو بالواسطة (الله يتوفى الأنفس, وهو يحيي ويميت)... الخ من المعاني التكوينية كالرزق والقيومية...

يتجلى حل الإشكالية من خلال ما ورد في الذكر الحكيم في أن من قتل فرداً من الناس كأنما قتل نوعاً من الناس, لكن المفسرين لهم رأيٌ آخر, بل ولهم اتجاهات متعددة في تفسير هذا المعنى, فبعضهم يتجه إلى ان المقصود من ذلك هو تعظيم الجريمة وتكبيرها لا المقصود من ذلك التشبيه بكل معاني التشبيه مع إعطاء هذا الحجم لهذه الجريمة, فهذا التعظيم موجود في بعض الروايات التي تقول ان العقوبة التي تنـزل بقاتل شخص واحد هي بمستوى العقوبة التي تنـزل بقاتل الناس من أولهم إلى أخرهم وكيفما كانت العقوبة. ولعل المفهوم من الآية الكريمة ـ خصوصا

---

1) عن ابن مسلم ((سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل من قتل نفسا بغير نفس الآية فقال: له مقعد لو قتل الناس جميعا لم يرد إلا ذلك المقعد)).. وفي حديث آخر عنه عليه السلام أيضا قلت له:(كيف كأنما قتل الناس جميعا وإنما قتل واحدا ؟ فقال : يوضع في موضع من جهنم إليه ينتهي شدة عذاب أهلها، لو قتل الناس جميعا لكان إنما يدخل ذلك المكان، قلت: فانه قتل آخر، قال: يضاعف عليه)). ونحوه خبر حنان بن سدير عن الصادق عليه السلام في تفسيرها أيضا قال:((هو وادٍ في جهنم لو قتل الناس جميعا كان فيه، ولو قتل نفسا واحدة كان فيه)).

إذا أخذنا بنظر الاعتبار الآيات التي قبلها[1] ـ يجعل عملية قتل فرد من الناس بمثابة قتل الناس جميعاً, باعتبار ان الله ﷻ خلق الإنسان من أجل أن يقوم بمهمة وهذه المهمة لا يقوم بها الإنسان وحده وبمفرده, وانما يقوم هذا الاعتبار من خلال طبيعة التوالد في الإنسان و من خلال طبيعة الاستخلاف جيلاً بعد جيل, فوجدنا تاريخ البشرية من أولها إلى آخرها بأنها تنتمي إلى واحد من أولاد آدم, وهو: شيث كما يذكر[2].

---

1) (**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ * إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**) المائدة:32 ـ 33.

2) من المعلوم أن آدم عليه السلام قد أوصى إلى شيث (هبة الله) عليه السلام كتاب الانتصار ص 131 كما وأن عمره قد ناهز الـ 912 عام وهذا العمر كفيل لان يتوالد له سلالة من النسل خصوصاً إذا ما عرفنا أن آدم عليه السلام كان له أبناء معدودين, كما وأنزل على سيدنا شيث صحفاً ـ فروي أنه كان له 60 أو 50

فوجود كل هذا النسل وهؤلاء الأولاد الذين يمثلون البشرية في عالمنا اليوم يعود لقابيل, أما الذي قُتل بيد قابيل كان يمكن أن يكوّن

صحيفة ـ وقيل أربع كتب وهذا دليل على أنه كان رسول لأولاده, وفي رواية عن أنس أنه قال: فقلت: يا رسول الله ، علي أخوك؟ قال: نعم، علي أخي، فقلت يا رسول الله، صف لي كيف علي أخوك؟ قال: إن الله عز وجل خلق ماء تحت العرش قبل أن يخلق آدم بثلاثة آلاف عام، وأسكنه في لؤلؤة خضراء في غامض علمه إلى أن خلق آدم، فلما أن خلق آدم نقل ذلك الماء من اللؤلؤة فأجراه في صلب آدم إلى أن قبضه الله، ثم نقله إلى صلب شيث، فلم يزل ذلك الماء ينتقل من ظهر إلى ظهر حتى صار في صلب عبد المطلب، ثم شقه الله (عز وجل) بنصفين، فصار نصفه في أبي عبد الله بن عبد المطلب، ونصف في أبي طالب، فأنا من نصف الماء وعلي بن النصف الآخر... الخ الحديث) الأمالي- الشيخ الطوسي ص 313 ومن الواضح من هذه الرواية التي وردت بألسنة عدة وأماكن متعددة أن فيها من الدلالة على أن نسل آدم عليه السلام أنحصر في شيث عليه السلام إذ أن قابيل قد حرم من النسل بعد أن أرتكب خطيئة قتل أخيه هابيل, وفي رواية أخرى هي أكثر وضوحاً من الأولى إذ جاء في كتاب- مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب ج3 ص 332: وسأله عليه السلام طاووس اليماني: متى هلك ثلث الناس؟ فقال: يا أبا عبد الرحمن لم يمت ثلث الناس قط يا شيخ أردت أن تقول: متى هلك ربع الناس؟ وذلك يوم قتل قابيل هابيل كانوا أربعة آدم وحواء وهابيل وقابيل فهلك ربعهم. قال: فأيهما كان أبا للناس القاتل أو المقتول؟ قال لا واحد منهما أبوهم شيث.

لهذه البشرية عالماً آخر بأولاده.. فبتناسل وتوالد هذا الإنسان كان يمكن أن تتضاعف البشرية عدداً آخر من أفراد الإنسان, وإذا أخذنا بنظر الاعتبار ان في هؤلاء البشر- يعني في هؤلاء الأولاد - أشخاصاً ورجالاً واناساً من قبيل النبي محمد ﷺ وأهل بيته الأطهار ومن قبيل الأنبياء الذين كان لهم الدور العظيم في حياة البشرية حينئذ يمكن أن نفهم ان الجريمة التي ترتكب بقتل إنسان واحد لا نحب على أنه إنسان له فترة معينة من الزمن أو دور معين, فشيث عليه السلام أبو البشر كان له دور معين وفترة معينة من الزمن وتكامل هذا الدور مع استمرار نسله بأولاده إلى يومنا هذا وما زال يتضاعف هذا العدد مرات ومرات.

ومن هنا نعرف عظمة ما أرتكبهُ الأمويون المجرمون الملعونون منْ جريمة قتل الحسين عليه السلام وأولاده في كربلاء, ولو أردنا ان نحسب التاريخ نجد ان ذرية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كانت من البقية التي بقيت بعد مذبحة كربلاء, هي من الحسن المثنى الذي كان جريحاً وتوالد منه الحسنيون ومن الإمام زين العابدين

علي بن الحسين[1] والذي انحصرت ذرية الحسين عليه السلام فيه, ومن بعض الأطفال الذين بقوا, فقد كان هذا الميراث العظيم لذرية رسول الله ﷺ والذي كان لهم دور عظيم جدا في تاريخ البشرية وهدايتها[2] فلو كان كل أولئك الذين كانوا في كربلاء باقين على وجه الأرض وتوالدوا وكانت لهم ذرية وكان لهم نشاط وعمل وهداية, لكان من الممكن ان نفترض ان هؤلاء سيحولون الدنيا كلها إلى دنيا هداية ودنيا تقوى ودنيا استقامة وعدالة, باعتبار ان

---

1) نظرية أصالة الفطرة الخيرة أو بعبارة عصرية (التوارث الجيني التاريخي للسلف السابق).. أما إقرار القتل لا يكون إلا لحالة المرضية شاذة لا علاج لها إلا باجتثاثها, وهذا ما فعله الإسلام.

وفي هذا الصدد يمكن أن نذكر خلاصة بحوث أجريت في علم (الجينوم) وبالذات في شبكة الجينات البشرية وبنحو أخص في سلالة ألـ DNA & RMA والتي تتلخص في إمكانية نقل الصفات الوراثية على المستوى الخَلقي والخُلقي وعليه تشتد وطأة وفجاعة الجريمة فيما لو انتهكت حياة شخص, وهكذا تشتد الحاجة والضرورة لمكافحة واجتثاث العناصر المريضة والسقيمة.

من هنا يتضح لنا مدى فجاعة الجريمة الأموية التي أخذت بعداً, يخل حتى بالقيم الفطرية والفسيلوجية!.

2) أي هؤلاء الثلاثة أو الأربعة الذين بقوا من مقتلة كربلاء .

من بقي من تلك المعركة كان لهم هذا الدور العظيم في تاريخ الإنسانية وفي تاريخ البشرية فكيف بالآخرين الذين هم أضعاف مضاعفة إذا ما قسناهم مع العدو وإمكاناتهم العظيمة و الهائلة.[1]

ولهذا المفهوم أخذٌ ورد, وقد يكون هو المنظور إليه في الآية الكريمة, والله ﷻ العالم بذلك, لكنه ومن خلال المقارنة بين ذكر المثل المتمثلة بأبنَّـي آدم, وهذا القتل الذي أدى إلى حرمان البشرية من هذا العمود في سلسلة الذرية لهابيل عليه السلام بما فيها قتل الإنسان بهذا المنظار, لا أن ننظر لهذا الإنسان بأنه إنسان له دور محدود في الحياة ومع مقتله ينتهي هذا العمر وهذا الدور وعليه لابد من ان نأخذ بنظر الاعتبار ما يمكن ان يؤديه هذا الإنسان في الحياة الإنسانية باستخلافه للذرية واصل تكونه وذلك عندما حمله الله ﷻ

---

1) هذا ولا ننسى فجاعة جريمة طاغية العصور في عراق المقدسات والعلم وما قام به من قتل ودمار لعلماء وقدّيسين ومفكرين بل وعلى مستوى إبادة عائلية, كما حصل مع أسر عراقية عريقة كأسرة آل الحكيم(رحمهم الله جميعاً) وعليه يمكن أن نتصور تلك الجريمة التي ستأخذ مجراها على مدى العصور.

مهمة الخلافة في الأرض:(**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**)[1], فآدمعليه السلام لم يتمكن من أن يقوم بهذا الدور بمقدار أيامه التي عاشها بل من خلال أولاده وببنيه وذريته: (**جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ**)[2] فهي نظرية استخلاف وتوارث وتوالد, وهي حالة طبيعية في شخصية الإنسان, وبهذا نصل لفداحة الجريمة وارتفاع قيمتها المادية والمعنوية والتاريخية والإنسانية.

فلسفة القتل(شبهة)

قد يقال ان القتل هو عبارة عن إنهاء حياة هذا الإنسان في هذه الدنيا.

---

1) البقرة: 30

2) الأنعام:165 وفي هذا الصدد ورد في قوله تعالى أيضاً: ثُمَّ (**هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلاَّ مَقْتاً وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلاَّ خَسَاراً**) فاطر:39.

بيد ان للإنسان حياته, الأبدية في الآخرة وهي الحياة الحقيقية للإنسان.

وهنا ترد إشكالية تدعو لأهمية القتل الذي هو عبارة: عن إنهاء حياة الغير, والتي يعبر عنها القرآن الكريم بأنها: (**وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**)[1] فإنهاء حياة الإنسان على محدوديتها, سينقل هذا الإنسان إلى حياة أخرى حياة أبدية, ومثل هذا العمل قد يعني عندما ينظر إليه بهذا الشكل يصبح عملا مجيدا لأنه إنهاء للعب وللهو, فإخراج الإنسان من هذه الحياة القصيرة بلعبها ولهوها إنما هو سير نحو المجد, وعليه ستكون هذه العملية عملية صحيحة ومناسبة.. فلماذا إذاً يُعطى للقتل عنوان الجريمة؟!

من الواضح في كل المفاهيم والمثل التي عرفتها البشرية سواء أكانت من خلال الأديان أم من غيرها, ان القتل يعتبر جريمة

---

1) العنكبوت:64

وعدوان على وجود هذا الإنسان, فإذا أردنا أن نجمع بين هذين المفهومين.[1]

فلا بد لنا من ان ننظر إلى ان مهمة الإنسان على وجه الأرض ليست عبثاً بل لوجودهِ غاية وهدف من وراء خلقه[2] فلا بد من

---

1) ان هذه الحياة هي حياة لعب ولهو ويكون القتل فيها تخليصا لهذا الإنسان من حياة اللهو واللعب والآلام, ومفهوم(ان هذا القتل جريمة كبيرة من الجرائم في نظر الإسلام وفي نظر كل الأديان وفي نظر الوجدان البشري, أي في فطرة الإنسان). ـ عن المؤلف ـ قدس سره ـ

2) إن الله قد جعل خليفته على الأرض, ألا وهو الإنسان(**إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً**) الأحزاب:72.

ومع غض النظر عن كون الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي أوجده الله ليعبده بكامل عقله وبقرارة نفسهِ وبمحض إرادته ـ بعكس الملائكة مثلاً والتي هي خُلقت بنحوٍ آلي لعبادة الله عز وجل ـ والإنسان هو المُجسد للصفات والأفعال للخُلق الإلهي, وهذا ما نجده واضحاً لدى الأولياء والصالحين والأنبياء والرسل والتي تتجسد عياناً وبشده في الرسول صلى الله عليه وآله بيت العصمة والطهارة.

الحفاظ على هذه المهمة وعلى هذا الهدف وعلى هذه الغاية, التي خلق من أجلها الإنسان.

فهو خليفة الله في الأرض؛ أي: هو المجسد للفعل الإلهي, والقدرة الإلهية والإرادة الإلهية, والرحمة الإلهية, والعطف الإلهي, في الوجود, ومن خلال وجود الإنسان تتجسد تلك الإرادة, وتتجسد معه المعارف الإلهية, وبالتالي خلافة الله بما لها من صفات الكمال.

فالباري ﷻ لابد له من تجسد كل هذه الصفات في سلوكه وفي مسيرته في هذه الأرض وهذا ما يقتضي وجود الإنسان:(**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**)[1] فهو المعبر عن خلافة الله وصفاته, فعندما نتصور شخصية النبيﷺ أو شخصية الأنبياء أو العباد الصالحين عموماً, الذين وجدوا على هذه الأرض, نجدهم في سلوكهم, ومسيرتهم, وأعمالهم, وأخلاقهم, و نشاطاتهم؛ يمثلون هدف وجود الإنسان في الأرض, وعليه سيكون القتل ناسفاً لهذه الأهداف ومناقضاً لها, وذلك لأن قتل الإنسان يلغي قدرته في

---

1) البقرة: 30

الحياة على تجسيد هذه المعاني, ومن هنا يصبح القتل جريمة, باعتبار ان القاتل يناقض الغاية والهدف الذي وجد من أجله, فيصبح القتل حينئذ جريمة بشعة, والحياة وسيلة للوصول إلى ذلك الهدف السامي, أما وجوده في عالم الآخرة يتعارض ووجوده في هذه الحياة وتلك الغاية القصوى ومع ذلك الهدف الأقصى. .

لكنه أحياناً يكون إنهاء الإنسان أفضل وأهم, وهنا يصبح القتل ليس بجريمة, وربما يتحول هذا القتل في منظور الإسلام وفي منظور الدين إلى عمل صالح فيحث الدين الإنسان على الأقدام عليه.[1]

وهذا الشيء الذي نعبر عنه أحيانا بالشهادة أو ما يقوم به المؤمنون من قتل الآخرين في كثير من الأحيان لكونهم مجرمين, فالحياة الدنيا هدف وغاية ومبررات.

---

1) في أنه يجسد ... الأخلاق الإلهية والصفات الإلهية (صفاة الله عز وجل) وفي (كونه خليفة على الأرض).. ومن ناحية أخرى قد يصبح مجرماً عابثاً بتلك القيم الإلهية ومقدراتها, طبعاً مع كونه قد أقترف جرماً لا يكون علاجه إلا بالقتل كما في(القاتل, والزاني, والمشرك بالله) وبقتله سترفع إحدى موانع هذه المسيرة الخلاقة.

هذا الفهم الكلي لخلفية القتل ينظر له أحيانا بانه جريمة وأخرى بأنه عمل صالح أما الأساس هو إن الإنسان خليفة الله في الأرض, وحينها يصبح قتله بأي درجة من الدرجات جريمة.

تصنيف القتل

من خلال ما مر, عرفنا عندما يصبح وجود الفرد معرقلاً لوصول الإنسانية إلى درجات الكمال في الحياة الأخرى بوجوده الفردي أو بوجوده في المجتمع, فحينئذٍ يصبح القتل بالنسبة إليه عملاً صالحاً.

وعليه ستكون للقتل صفتين أو طريقتين:

طريقة يستخدم بها القتل كتعبير عن الصفات الذميمة في الإنسان, كصفة الحسد والتسلط إذ أن القرآن الكريم يستعرض وجوه وأشكال من القتل الذي أستخدم في التاريخ البشري, إبتداءاً من أول حادثة, وهي التي وقعت بين أبني آدم والحسد الذي كان يعيش في قلب قابيل..

وأخرى نجد فيها أن القتل أداة يتمسك بها الطغاة من أجل فرض الهيمنة والسيطرة على الناس.

الأنبياء يتعرضون إلى القتل, لأجل الهيمنة والسيطرة من قبل طغاة عصورهم, ففي القرآن الكريم نجد أن قصة فرعون تتكرر كثيراً, حيث أنه كان يهدد الإسرائيليين والمؤمنين بقتل أبنائهم واستحياء نسائهم.. كما ويعتب القرآن الكريم كثيراً على الإسرائيليين إذ أنهم كانوا يقتلون الأنبياء بغير حق كأسلوب لفرض هيمنة النمرود وأصنامه, فعندما قام إبراهيمعليه السلام في المواجهة أخذ بطرح قضية الوحدانية في وجه النمرود وأصنامه, إلا أن الجواب كان: (**فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**)[1].

---

1) العنكبوت:24

طبيعي أن هذا الأسلوب قد واكب كل البشرية وحتى يومنا الحاضر, فالطغاة يتجهون بهذا المنحى لفرض الهيمنة والسيطرة على الناس.[1]

أما الخط الآخر ـ أي ـ خط الصلاح, وخط الإيمان؛ وخط العقيدة بالله ﷻ وخط الارتباط بالمثل والقيم يعتبر القتل كأداة وأسلوب في مواجهه الطغاة, فهو عامل لردع الفساد في المجتمع.[2]

---

1) باعتبار أن هذا الأسلوب يناقض الهدف الكلي الذي خلق من أجله الإنسان ـ المؤلف ـ

أما الوصول إلى الكمال الإلهي أو الإنساني(لا فرق المهم أن الطغاة وصنميتهم) تتعارض وتتناقض مع هذه الكمالات فيصبح الطبيعي في سلوكهم الدمار والقتل.

2) في الحقيقة أن هذا الفهم كان وما يزال عاملاً مهماً لمواجهة الانحراف مع وصوله للذروة, فباستنفاذ كل الوسائل والطرق للعمل السلمي من خلال العمل الهدايتي الإلهي ونطاق المعارف الدينية وصولاً للطرق المدنية الإنسانية.. نصل إلى قرار الكي, ولم يكن هذا حكراً على دين دون آخر فكل آليات العمل الديني والاجتماعي آلةً لهذه النظرية القرآنية وعلى امتداد الخط البشر على وجه الأرض (**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ**) البقرة: 216.

والمركب القرآني يصف القتل: (**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**)[1] فلمفهوم القتال جنبة خير للناس وللبشرية, ومن خلال الأخيرة تُسن شريعة الجهاد(**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ**)[2] ليفسر هذه العملية بقوله تعالى: (**وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**)[3].

فلقضية الدفع بالقتل خلفية تُعنى بضرورة اتخاذ هذا الأسلوب, ولولا اتخاذ هذا الإجراء وسن هذه الشريعة لكان الحكم للطغاة ولما بقي ذكر الله بل وكل الأماكن والمراكز التي يمكن ان يذكر فيها أسمهُ عز وجل لتعرضت للتهديم ولما أمكن ان يبقى شيئاً منها.

---

1) البقرة: 216

2) الحج:39

3) الحج: 40

لا للـــــقـــتل

من خلال ما سبق وباستعراض الآيات الكريمة والأحاديث والروايات المروية عن أهل البيت(ع) نجد أن القتل الحق هو الذي يذكره الإسلام والذي يستثنيه تحت هاذين العنوانين(بغير نفس أو فساد في الأرض)، نعم يمكن أن يعبر عن قتل الحق: أنه عبارة عن عملية ردع للقتل نفسه.

بمعنى أن القتل جريمة تحتاج إلى مواجهة, وهذه الجريمة بحسب نظر الإسلام لا تواجه إلا بمستواها, من قبيل:(**فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ**)[1] فهذا المستوى من الجريمة لا يمكن أن تواجه في المجتمع إلا بمثلها[2] هذا الإجراء

---

1) لبقرة: 194.

2) لهكذا اعتلال نفسي لا يمكن قطع دابره بأي وسيلة كانت دون أن يواجه بنفس الوسيلة التي تناسب هذا الكم والكيف, ولا يعني من ذلك إلا قطع دابر

يمثل حياة للناس: (**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**)[1] إذاً: المحصلة الكلية لهذه المواجهة هو المزيد من حياة الناس, أما عندما يترك القاتل ولا يقتص منه ولا يقتل حينئذ النتيجة هو المزيد من القتل.

وعليه يمكن أن يكون للفساد ألوان ثلاثة:

أولاً: الفساد الشخصي

وهو ما يكون على مستوى الأفراد والأشخاص باعتبارهم يعيشون في المجتمع.

الجريمة نهائياً, وبالتالي عدم تكرارها, وهذا ما لحظناه قطعاً في عصر سقوط النظام الفاشي في العراق, إذ تعالت الصيحات بضرورة أعادة الأحكام العرفية ـ بعد أن منعتها سلطة الاحتلال ـ إذ ارتفع آنذاك منسوب الجريمة(الجنائية) لمستوى لم يعرف له سابقة في التأريخ العراقي.

1) البقرة:179

ويواجه ويحدّ بالقتل, كالمرتد الفطري.[1]

ولعل ما ورد في القرآن الكريم من أمر الإسرائيليين بقتل أنفسهم بعد عبادتهم للعجل: (**فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ**)[2] ففي الواقع بشكل عام كانوا يؤمنون بالله ﷻ ويؤمنون بإبراهيم وبأولاده إسحاق ويعقوب عليهم السلام أي بالنبوات بشكل عام, ولكنهم ارتدّوا بعبادة العجل, وحينئذ صدر الأمر بقتلهم.

هذا طبعاً من ثوابت التشريع الإسلامية فالمرتد عن فطرة ـ أي ذلك الإنسان الذي يكون بحسب فطرته مسلماً ووالد مسلم ثم أرتد عن الإسلام ـ حكمه القتل وإن تاب.

ومما لا يخفى أن للفقهاء خلافاً في تقبل توبة المرتد الفطري في عالم الآخرة بيد أن الاتفاق باقي على عدم مسامحتهُ في عالم الدنيا فأن حكمهُ القتل.

---

1) المشهور لدى فقهاءنا الأعلام تعريف المرتد الفطري بـ: هو من يولد من أب أو أم أو من أبوين مسلمين ويكون مسلماً ثم يكفر.

2) البقرة: 54.

ومن أمثلة الفساد الشخصي الذي يستحق القتل: كوجوب قتل الزاني و الزانية المحصنة ـ حكمها القتل ـ ولو بالرجم, وهكذا دواليك تجاه اللواط.[1]

يتسنى من ذلك: أن بعض الأحكام في الشريعة اختصت بالقتل بالنسبة إلى بعض الجرائم الشخصية التي يرتكبها الإنسان, وذلك لافتراض أن إبقاء هذه الجرائم على حالها سوف يؤدي إلى فساد اجتماعي وان كانت هي جريمة شخصية, ـ مثل الزنا فأنه وقع بين هذا الشخص وهذه المرأة مثلا, وهكذا قضية اللواط والارتداد كلها قضايا شخصية, وليست قضية اجتماعية عامة ـ لكن تقييم الإسلام, يفرض أن هذا الفساد هو مرض ووباء لو ترك على حاله وشأنه دون معالجة قاطعة بالقتل؛ لأستفحل وأدى إلى اضطراب في العلاقات والأوضاع الاجتماعية, وهذا ما نعبر عنه بالفساد

---

1) ثمة تفصيل شرعي يرد على محور الزنا, فقد تُخفف العقوبة مع غير المحصن أو المحصن الذي لا يصل إلى زوجته وهذا الأمر متروك لمباحث فقهية مفصلة باعتبار أن لكل حالة جنس ـ رجل أم امرأة ـ حكماً معيناً, ومحور الكلام هنا بالحالات التي سياق علاجها مرتبط(بقتل المجرم, أي الزاني).

الشخصي المرتبط بأفراد يؤلون به إلى الظواهر الاجتماعية لو ترك هذا الفساد وحاله.[1]

---

1) الطبيعي في الإنسان أن لا يعيش ونفسه, وعليه توجب أن تكون هناك شبكة علاقات اجتماعية وحتى إنسانية بل وعلى مستوى الانتقال الحضاري أو العرقي, وعليه, نجد أن المنظار الإسلامي قد شخص هذه الضرورة بأنها محتاجة إلى مكافحة أي بؤرة قد تؤدي إلى تلويث المحيط وصولاً إلى مجتمع سليم خال من الأسقام, وهذا ما لا يكون إلا باجتثاث كل بؤرة تلوث قد تؤول بالمجتمع نحو كارثة, وهذا ما يلحظ بالفعل بالمقايسة بين المجتمعات الإباحية والمحافظة, ولا نجد ضرورة لأن نسرد تلك الفوارق والعوامل النفسية والبيئية التي خلقها هذا الانحلال وما تنتجه من أوبئة وأسقام وبين الأخير الذي استطاع أن ينجو من الكثير من تلك الأوبئة لالتزامه الواضح في مكافحة هكذا تلوث اجتماعي.

هذا لا يعني أن ننفي بأن هناك من العينات المحافظة قد تأثرت سلباً جراء الانفتاح الإعلامي والمكاني على بقية المجتمعات التي لم تحصن نفسها من تلك الاعتلالات بل راحت تؤمن يقيناً بكون ما تفعله هو الأمر الصحيح تحت غطاء الحريات ومكافحة الكبت.

ثانياً: الفساد السياسي

هي تلك الأعمال والنشاطات التي يقوم بها بعض الأشخاص لمواجهة المجتمع ونظام الحكم الإسلامي, وهذا النشاط أو الفساد السياسي له درجات ومراتب, الشيء الذي يعبر عنه بشكل عام في القرآن الكريم ولدى الفقهاء بالفساد والبغي.

(إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [1].

الفساد السياسي هو: تطبيق لهذه الآية الكريمة, فجد المفسرين والفقهاء يتفقون على أن أولئك الذين يقومون بنشاطات وأعمالاً سياسية في مواجهة النظام أو تهديد أمن الناس وأمن النظام, من قبيل الأشخاص الذين يحاربون النظام بمعنى أنهم ينشقون عن النظام ويبغون على النظام.. والذين يقومون بقطع الطرق ويقتلون

---

1) المائدة:33

الناس في الطرقات العامة يطبق عليهم هذا الحكم ـ القتل والاجتثاث؛ لبغيهم وتمردهم على النظام ـ لا بسبب النظام وإنما لأجل متبنيات خاصة لمواجهة جزء من المجتمع تشير الآية الشريفة(**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**)[1]

إلا أنه لو حصل القتال بين المؤمنين أي بين جماعة من المسلمين فلا بد من الإصلاح بينهما ولكن إذا بغت إحدى هاتين الجماعتين ولم تقبل بالصلح الذي فرض حينئذ يكون حكمها القتال يعني حكم هذه الجماعة الباغية القتل.[2]

---

1) الحجرات:9

2) لا شك ولا ريب إن لهذا الفساد مثالاً حياً في أيامنا هذه فهناك من يقطع الطرق ويدمر مقدرات الأمة ويقتل أفرادها, كما ويحاول أن يتلاعب بمستقبلهم ومقدراتهم, فلحملة الإرهاب تأريخ أسود في عراق الأنبياء والأولياء, وعليه سيكون ردهم ومواجهتهم بشتى الطرق والوسائل واجباً شرعياً قبل أن يكون

ثالثاً: الفساد الديني

التمرد على الله ﷻ هو تمرد على العلاقة الطبيعية الموجودة بين الإنسان والله ﷻ.

فالعلاقة بينهما ناشئة من كون الله ﷻ رب هذا الإنسان وخالقه ومالكه والمتصرف بشؤونه كلها.

ويترتب على ذلك أن أي عمل مخالف للشريعة وللأحكام الإلهية سيمثل لوناً من ألوان التمرد على الله ﷻ ولهذا التمرد قوانين وأحكام تشريعية ـ لنعبر عنها بالقوانين والأحكام الجنائية ـ على شكل تعزيرات وحدود[1], وقمة هذه الإجراءات القتل.

وطنياً وإنسانياً, وكيف لا يكون ذلك وهم قد شرعوا بقتل علمائنا الأعلام وحاولوا بشتى الوسائل والطرق شق عصا الأمة.

[1]) تعرف الحدود لغة بـ: (الحاء والدال أصلان: الأول: المنع، والثاني: طرفُ الشيء.. وبالمعنى الشرعي هو: عبارة عن عقوبة مقدَّرة واجبة حقاً لله تعالى عز شأنه).

أما التعزيرات مفردة تعزير:(وهي العين والزاء والراء كلمتان: إحداهما التعظيم والنصر، والكلمة الأخرى جنس من الضرب، فالأولى النصر والتوقير كقوله تعالى: (

و العلاقة الطبيعية تشمل كل هذه القوانين, كما وهناك حد يمكن أن نعبر عنه بالحد الأدنى من العلاقة وهو اعتراف الإنسان بأن الله هو ربه وخالقه, وينسحب من هذا الحد(الأدنى) إلى علاقات تحول الإنسان إلى فرد مطيع متقي ملتزم بكل أوامر الشريعة وصولاً إلى الحد الأعلى لهذه العلاقة؛ وذلك عندما يجسد الإنسان هذا الاعتراف بسلوكه وبالتزاماته.

أما عندما يُتمرد على الحد الأدنى لهذه العلاقة فهو يعني إنكاراً للألوهية والربوبية ليصبح مفسداً في الأرض وبالتالي يكون حكمه والقتل.

ولهذا الإنكار مداليل سياسية في قبال حكم الله في الأرض لا في قضية الاعتراف بأن الله موجود أو غير موجود حتى يترك وشأنه

وَتُعَزّرُوهُ وَتُوَقّرُوهُ) الفتح:9، والأصل الآخر التعزير وهو الضرب دون الحد.. والمعنى الشرعي هو:(التعزير تأديب دون الحد).

فهناك موقف متمرد ينص على أن لا يكون هناك حكم لله ﷻ في الأرض, وحينها يكون حكم مثل هذا الإنسان القتل.[1]

---

1) قد نجد من الواجب أن نطوف في دائرة التأريخ الإسلامي وجدلية القتل التي اتخذت عدة وجوه... فتارة نجد الإرهاب ينطلق لمحاربة الإسلام وأخرى يتلبس به للنيل منه...

ولابد من الإشارة إلى أن مجمل الحركات الضالة التي تفجرت هنا وهناك, ودخلت في عمق التأريخ الإسلامي كان لها مفكريها ومنظريها, فها هو عمر بن العاص يبتكر لعبة (قميص عثمان, وحمل المصاحف) لتلتهب قلوب الناس وبالتالي يلعب بمشاعرهم وعواطفهم, كما هو الحال اليوم ـ في العراق ـ إذ تُرفع راية الجهاد ضد الاحتلال وبالتالي تنتشر حوادث القتل والدمار؛ طبيعي أن هذا نتاج التحرك العاطفي الخالي من التعقل الذي يؤدي إلى التخلي عن التصدي لهكذا شراذم مما يحيل بهؤلاء الإرهابين في أن يصلوا إلى الحكم (أمثال معاوية ويزيد) وبالتالي ولادة سلطة الدكتاتوريات الفاشية.

الخلفية لكل هذه الأقسام الثلاثة وقضايا الفساد التي أشرنا إليها؛ تفرض أن قضية الفساد هي أهم من وجود الإنسان بمعنى ـ نرجع إلى الشيء الذي أشرنا إليه سابقاً ـ ان الإنسان وجد في الأرض؛ لأجل تجسيد أخلاق الله, بحيث يصبح خليفته, أما عندما يتحول الإنسان إلى مفسد, سيخرج عن هذا الهدف وهذه الغاية ليصبح وجوده مضراً وغير مبرر.

أما علاجهُ الطبيعي فيكون في تجسد تلك الأخلاق والأحكام وبخروجه عن ذلك يصبح قتله شيئاً طبيعياً,(**وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ**)[1] فهناك قيمة معينة لقضية القتل, كما وهناك قيمة للفتنة والتي هي عبارة عن الظلال والانحراف عن الخط المستقيم للإسلام, فقضية الفتنة هي أكبر عند الله واشد من القتل؛ إذن فمن الطبيعي أن يقتل هذا الإنسان المفسد, الذي يفتن الناس عن دينهم.

---

1) البقرة191

ومن هنا نعرف المبرر لقضية الجهاد في سبيل الله, وذلك لتحقيق حكم الله وأقامته لمواجهة الفتنة والظلال والانحراف(**الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً**)[1] فهذا هو الخط الذي يمثله خط الإيمان, وخط الإسلام, وخط المرتبطين بالله.

---

1) النساء:76

فهرس الموضوعات

هوية الكتاب..... 2

شذرات من أقوال الشهيد الحكيم قدس سره..... 7

المقدمة..... 9

بين الفرض والجريرة 13

القتـل فـي التأريـخ..... 16

جريمة كبرى..... 16

المفسرون والغرض المبيت 19

القتل أسباب ودوافع..... 25

القتل وموازينه..... 27

الحل الأمثل(شبهة)..... 28

فلسفة القتل(شبهة)..... 35

تصنيف القتل..... 40

لا للــقـتل 44
أولاً: الفساد الشخصي..... 45
ثانياً: الفساد السياسي..... 49
ثالثاً: الفساد الديني 51
ما وراء الفساد..... 54
فهرس الموضوعات..... 57